مقاربة تداوليّة لثنائيّة المعلن والمضمَر في الرّواية العربيّة المعاصرة

-رواية اللّاز- للطّاهر وطّار أنموذجًا.

A Pragmatic Approach to the Dichotomy of the Explicit and the Implicit in the Contemporary Arabic Novel: The Lāz by Tahar Ouettar as a Model

كنزة بوهراوة

kanza.bouhraoua@ensb.dz

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

تاريخ الإرسال 2025/02/01	تاريخ القبول 2025/03/01	تاريخ النشر 2025/04/01

الملخّص:

عرفت السّاحة النّقديّة تنوّعا منهجيّا ثريّا ونظريّات حديثة، استعان بها الدّراسون في مقاربة النّصوص الأدبيّة مُقاربة عِلميّة، باعتبار أنّ النّص كان ولا يزال محل الاهتمام، فهو بمثابة القُطب المغناطيسي الذي تنجذب إليه جهود الدّراسين على اختلاف مناهج دراساتهم، بُغية الوُلوج الى مكوّناته الدّاخلية و ما يُحيط به من ظروف داخليّة وخارجيّة.

وتُعدُّ التّداولية من النظريّات الغربيّة الحديثة التي جاءت كرد فعل على سابقتها خاصّة البنيويّة، التي تعاملت مع النصوص كبنية شكليّة مُغلقة ومبتورة عن سياقها الخارجي، مُحاولةً تجاوز هذه النّظرة بربط النّص بسياقه، وباختصار فقد نادت بإعادة الاعتبار للعوامل عبر اللّسانيّة وجعلها من أهم شروط فهم الخطاب ونجاح التّواصل، و بالتّالي فإنّ مجيء التّداولية يُعتبر ثورة في ميدان النّقد الأدبي ذلك أنّها تدعو إلى تغيير النّظرة إلى النّصوص.

وفي هذه المداخلة سنختبر مدى امكانيّة تطبيق هذا المنهج على النّص العربي، بمحاولة إسقاط آليات هذه النّظريّة، وتجاوز التّحليل التّقليدي الذي يقضي بعدم صلاحية التّداوليات لدراسة النّص الادبي المُحكَم، بحجّة أنّه أصْلح لدراسة لغة الاستعمال اليومي، ساعيين لإثبات خِلاف ذلك، حيث سنقوم بدراسة رواية للأديب الجزائري **الطّاهر وطّار** الموسومة ب: -**اللّاز**-، التي تجسّد في ظاهرها واقع الثورة التحريرية الجزائرية بما عرفته من صراعات داخليّة وتباين في الرُّؤى بين الفاعلين الثوريين حيث تتقاطع

التّجربة الفردية مع تحوّلات المجتمع في سياق مقاومة الاستعمار وبناء السلطة، غير أنّ هذا البعد الظاهري لا يكفي للإحاطة بدلالات النص، إذ يتجاوز العمل مستوى السرد المباشر إلى مستويات أعمق من المعنى ومن ثمّة يمكن مقاربته تداوليًا عبر تحليل آليات الإضمار والاستلزام الحواري ومبدأ التعاون، للكشف عن الاستراتيجيات الخطابية التي تُنتج الدلالة داخل الرواية بما يسمح بالانتقال من القراءة الشكلية إلى قراءة وظيفيَّة تُبرز أبعاد الخطاب الاجتماعية والسياسية وآليات تأثيره.

الكلمات المفتاحيّة: التداوليّة، المنهج، التّحليل، دورة الحوار، الخطاب، المتلقّي.

:The Abstract

The field of literary criticism has witnessed considerable methodological diversity and the emergence of modern theories that approach literary texts scientifically, treating them as central objects of study while exploring their internal structures and surrounding contexts. Pragmatics emerged as a reaction to structuralism, which viewed texts as closed formal systems detached from context, whereas pragmatics emphasizes the integration of text and context and the role of extra-linguistic factors in understanding discourse and achieving communicative success, marking a significant shift in literary criticism. This study aims to examine the applicability of pragmatics to Arabic literary texts through an analysis of Tahar Ouettar's The Laz, which, on the surface, depicts the Algerian liberation struggle and its internal conflicts and divergent revolutionary perspectives. However, the novel extends beyond surface narration to deeper levels of meaning. Accordingly, it is approached pragmatically through implicature, conversational implicature, and the cooperative principle to uncover the discursive strategies that produce meaning, enabling a shift from formalist reading to a functional one that highlights the social, political, and persuasive dimensions of discourse.

Keywords: Pragmatics; Methodology; Analysis; Conversational turn-taking; Discourse; Addressee.

مقدّمـة:

طالما نهج الدّراسون في تحليل نصوصهم المنهجَ البنيوي والتّوليدي بشكل لافت للانتباه، إذ كانا منذ زمن ليس بالبعيد يُهيمنان على ساحة الدّراسات اللّسانية، إلى أن أنجبت هذه الأخيرة نظريّة أو منهجا كما

يصطلح عليه البعض، ليُزاحم النّظريات التّقليديّة الرّائدة ألا وهو "المنهج التّداولي" ذو المفاهيم اللّغويّة الدّيناميكيّة والمتباينة الأسس المعرفيّة.

إذ يعدُّ الدّرس التّداولي منهجا لسانيّا حديثا، ظهرت ملامحه الأولى في بدايات القرن التّاسع عشر بين أحضان الفلسفة التّحليليّة، ولم يكُن علما مُنفردا بل كان جزءا لا يتجزأ عن الدّرس الفلسفي الحديث، ويعود الفضل في استحداث مصطلح التّداولية في الثّقافة الغربيّة إلى الفيلسوف "تشارلز ساندرس بيرس"، حينما تساءل في مقاله الشّهير المعنون ب:" كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" عام 1978، وفيه طرح أبرز السّبل المُتّبعة لبلوغ الخطاب الناجح والفهم الصّحيح، وقد نالت أفكاره رواجا واسعا بين الدّراسين، فتطوّرت تلك الأفكار لتتجسّد نظريّا وفق منهج لساني يدرس علاقة النشاط اللّغوي لمستعملي اللّغة بالسّياق، وبالتّالي البحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب "رسالة تواصليّة" واضحة وناجحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطّبيعية.

وباعتباره منهجا غربيّا بحتا نشأة وتأصيلا فإنّ الباحث العربي كثيرا ما يتساءل عن إمكانيّة تطبيقه على نصوصه التّراثيّة منها والحديثة، ومن هذا المنطلق قمنا بإسقاط الآليّات التّداوليّة وبعبارة أدق قمنا بدراسة الحوار الرّوائي بإخضاعه إلى مبادئ الحوار التّداولي ألا وهي الاستلزام والتّعاون الحواري والافتراض المُسبق، وعليه قسّمنا البحث إلى قسمين **الأول نظري**، ينقسم بدوره إلى عنصرين إذ سعينا في القسم الأوّل إلى التّعريف بالمنهج التّداولي وبداياته الأولى، أمّا القسم الثّاني فقد تطرّقنا فيه إلى أبرز الآليّات التّداولية تعريفا وتأريخا وتنظيرا، أمّا **القسم الثّاني** فهو تطبيقي محض حيث تناولنا فيه آليات التداولية منها: متضمّنات الخطاب والاضمار، وكذا الاستلزام الحواري، والتّعاون التّخاطبي، وأثرهما على دورة الحوار الخطابي في "**رواية اللّاز**"، لنجيب على الإشكاليّة التي انبنى عليها بحثنا ألا وهي: هل فعلا ينجح الدّرس التّداولي الغربي في تأويل الخطاب العربي تأويلا محكما؟

أوّلا: ملامح الأفكار التّداوليّة وبداية التّنظير العلمي:

أ- الإشارات الأولى للمنهج التّداولي:

لا يختلف اثنان على أنّ بداية التّفكير في وضع منهج علمي يضبط الدّراسات الإنسانيّة بصفة عامّة واللّغويّة على وجه الخصوص مردّه التّقدّم العلمي الكبير الذي شهده العالم مع نهاية القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد تجلّى أثر هذا التّقدم على العديد من الميادين، ولعلّ أهمّها الاتّجاهات الفلسفيّة، « نشأت الفلسفة التّحليليّة نتيجة الثّورة العلميّة في العقد الثّاني من القرن العشرين في فيينا-النمسا، على يد الفيلسوف فريجه، في كتابه أسس علم الحساب، والتّداوليّة ماهي إلّا نتاج لها» [1]

[1]– أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار الفكر، بيروت(لبنان)، ط 1، 1984، ص51.

وقد اصطبغت بالطّابع العلمي الواقعي وجعلت من التّحليل السمة المميّزة في تعاملها مع الظواهر اللّغويّة، بعدما كانت ذات منحى مثالي، وقد أدّى كل ذلك بالمفكّرين المحدثين إلى تجاوز الاتجاه الميتافيزيقي التّقليدي، ومن هنا كان الطابع الأساسي للفلسفية المعاصرة هو الطابع التحليلي الواقعي المتناسق مع روح العصر الرياضية. ومن هذا المنطلق ثار الفلاسفة المعاصرون على الاتّجاهات السائدة قبل القرن العشرين مثل الاتجاه المثالي الميتافيزيقي، مرتكزين على الطابع المادي والواقعي في التعامل مع الأشياء ضمن ما يسمى بالفلسفة التحليلية « إنّ فلسفة اللغة التحليلية قامت على نقيض الفلسفة الكلاسيكية وهذه الأخيرة لم تكن تول اهتماما إلى اللغة، ولقضاياها الكبرى، ولم تكترث بالظروف المحيطة لها» [2].

ومن هنا ظهرت الملامح الأولى للمنهج التّداولي الذي تمخّض من رحم الفلسفة التّحليليّة وتبنّى أُسسها ومبادئها، وهذا ما يتوضّح من خلال التّعامل العلمي مع اللّغة وتحليل معطياتها لا لذاتها ولا استنادا لبنيتها الدّاخليّة، بل بتتبّع سيّاقها الخارجي الذي وردت فيه، والظّروف المحيطة بالظّاهرة اللّغويّة، و يُقصد بالنظرية التداولية: تلك النظرية التي ينصبُّ اشتغالها على دراسة استعمالات اللغة في حياة الناطقين لها، نظرية استعمالية، تدرس اللّغة في استعمالات النّاطقين لها، «فهي كما عرَّفها الدكتور طه عبدالرحمن: ونظريّة تخاطبيّة تعالج شروطَ التّبليغ والتّواصل الذي يقصد إليه الناطقون دون معاني زائدة أو فرعيّة «[3].

والحاجة إلى الدّرس التّداولي اليوم باتت ملحَّة للانفتاح على ظروف إنتاج النّص وطُرق انتقاله من منتجه إلى متلقّيه، والوقوف على الوسائل التي تجعل منه خطابا واضحا، أي لا يُحيل سوى على مقصديّة المنتج وذلك بوضع النّص في سيّاقه المحدّد وبذلك تسقُط المعاني الفرعيّة واللاّ مقصودة لدى السّامع، وتُعدّ الأفكار التّداوليّة ثورة ضد جمود التّحليلات البنيويّة والتّوليديّة وشاكلتها، التي استأصلت الظّاهرة اللّغويّة عما يُحيط بها من ظروف خارجيّة دارسة إيّاها لذاتها ولأجل ذاتها ما جعل الفهم قاصرا نظرًا للأعطاب والعوائق التي تعانيها منظومة التّواصل في المجتمعات الإنسانيّة، ذلك أنّه لا يمكن لأحد منّا أن يُنكر أنّ اللّغة وسيلة للتّواصل الاجتماعي تُحلّل بالنّظر إلى مكوّناتها الدّاخليّة والخارجيّة وظروف إنتاجها وسيّاقها معا كونها ليست مجرّد قوالب جافّة للتّنظير والتّقعيد.

ب- أبرز مبادئ المنهج التّداولي:

1- الاستلزام الحواري:

---

[2]– فرديريك وريمان، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تر: نجيب الحصّادي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1994 م، ج1، ص 37.

[3]– طه عبد الرحمن، اللسانيات والمنطق والفلسفة دراسة سيميائية أدبية لسانية، دار الفكر، بيروت (لبنان)، ط1، 1988، ص، 121.

إنّ التّواصل اللّغوي النّاجح يَتمُّ في حدود إدراك المرسل إليه لواقعةٍ لغويّة معيَّنة تتضمَّن موضوعا مُباشرا أو غير مباشر، والفهم الصّحيح يتمُّ بتحقُّق معيارين الأوّل مُتعلّق بعلاقة صاحب الخطاب بمتلقّيه أي الافتراض المُسبق المتواضع عليه بينهما، كون عملية التواصل تَتِمُّ في ضوء التّعاون الذي يمنحه المرسِل بشكل ظاهري أو بشكل فعلي، ليتّضح قصده، لكن قد يتطلّب السّياق عدم التّصريح المُباشر بمحتوى الخطاب، وهو الأمر الذي يُحيل إلى العديد من المعاني التي تستدعي تعاونا عاجلا لضبط المقصود وهو ما يُعرف بـ" الاستلزام الحواري"، «والاستلزام الحواري هو لزوم شئ عن طريق قول شئ آخر، أي يقوله المتكلّم ويوحي إليه ولا يكون جزءا ممّا تعنيه الجملة بصورة حرفيّة [4]»

ويُعدُّ الاستلزام الحواري واحدا من أبرز وأهم الجوانب في الدّرس التّداولي، إذ وضّح جرايس مفهومه من خلال طرحه إشكاليّة في محاضراته التي قدّمها بجامعة هارفرد سنة 1967، ومفاد الإشكاليّة يتمحور حول آليّة حدوث الفهم الصّحيح لخطاب المُرسِل في ذهن المتلقّي دون أي زيادة ولا نُقصان، وهو ما يتعذّر في غالب الأحيان نظرا لأزمتين أوّلهما أنّ النّاس في حواراتهم يحاولون قول ما يقصدون،« لكن غالبا ما يقصدون أكثر ممّا يقولون فيخونهم اللّفظ ليتفوّهوا عكس ما يقصدون[5]»، وهذا ما خلق مشكلة حقيقيّة في دورة التّخاطب، ومن هذا المنبر الذي طرح فيه إشكاليته قدّم معها، تصوّره حول الحل الذي يحدُّ من الفهم السّيئ للمعاني المقصودة، من خلال الموازنة بين ما يُقال وهو كل ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللّفظيّة، وما يُقصد وهو ما يهدف المتكلّم إيصاله للسّامع على نحو مباشر أو غير مباشر اعتمادا على كون السّامع قادر على فك الألفاظ غير المباشرة بما يُتاح له من أعراف الاستعمال وافتراضات مسبقة بين المتكلّم والسّامع.

و من هذا المنطلق ظهر ما يُسمّى بمبدأ التّعاون الحواري، الذي ينصُّ على التّلفظ بالقدر الكافي من الكلمات دون زيادة ولا نُقصان، وذلك لتجنّب إحالة اللّفظ لمعاني خارجة عن قصد المتكلّم.

2- التّعاون الحواري/ التّخاطبي:

يُعدُّ بول غرايس واضع الأسس النّظريّة لمبدأ التّعاون الحواري، وذلك حينما لاحظ أنّ الجُملة تنزاح في الكثير من الأحيان عن معناها الحرفيّ اللّفظي إلى معنى استلزامي، أي قد تُحيل العبارة إلى أكثر أو أقل ممّا يقصده المنتِج، وهنا فكّر كثيرا وخرج في الأخير بقاعدة تضمن التّواصل النّاجح، وذلك بإسقاط المعاني المُحتملة للخطاب للوصول إلى حوار ناجح ومُحكم، وينبني هذا المبدأ على أربعة قواعد أساسيّة وأي خرق

---

[4]– صلاح اسماعيل، نظريّة المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصريّة للطّباعة، القاهرة (مصر)، ط1، 2005، ص78.

[5]– أحمد المتوكّل، الاستلزام التّخاطبي بين البلاغة العربيّة والتّداوليّات الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد(الأردن)،ط1، 2011، ص262.

لأحد هذه القواعد ينجرُّ عنه استلزاما حواريّا، وقد لخّصها غرايس في قوله: « أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك، وأن تكون متماشيّة مع الزّمن المناسب، ولا تقدّم مالم يُطلب منك الاجابة عنه، وحدّد هدفك عند الحديث[6] » كما لم يغفل طه عبد الرّحمن بالتّطرق إليها في مؤلفاته، وشرحه بقوله « ليكُن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتّجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه[7] ». وهذه القواعد هي:

أ) **قاعدة الكمّ** : وهي عبارة عن احترام الكم المناسب أثناء تقديم الإجابة أي جعلها مناسبة للسّؤال المطروح دون زيّادة ولا نقصان، لقول جرايس: « اجعل مساهمتك في الحديث إخبارية بالقدر الذي يقتضيه هدف هذا الحديث، لكن لا تجعلها إخبارية أكثر ولا أقل مما هو مطلوب[8] ».

ب) **قاعدة الكيف**: وتقوم هذه القاعدة أساسا على ثنائيّة الصّدق والحُجّة، أي لابد من المساهمة في الحوار فقط عندما نتبيّن صدق أقوالنا وصحّتها، بوجود دليل ملموس على ذلك، « حاول أن تقدم مساهمة حقيقية للحديث ولا تجهر بشيء لا يمكنك أن تدعمه بدليل كافٍ[9] ».

ج) **قاعدة الجهة (النّوع)**: وهو تقيّد منتج النّص بكلام واضح، بعيد كل البُعد عن أشكال الإبهام والغموض، وذلك بالطّرح المباشر للأفكار، مع ضرورة اتّباع منهجيّة مُحكمة .

د) **قاعدة المناسبة/الملائمة :** ومفاد هذه القاعدة عدم الخروج من صلب الموضوع نحو مواضيع جانبيّة، أي الاكتفاء بإدارة الحوار دون أن يزيغ إلى معاني خارجيّة.

وبالتّالي فإنّ "غرايس" يرى أنّه إن قام كل متكلم باحترام مبادئ الحديث وقام بتطبيقها على أتمّ وجه فإنّنا لن نواجه ظاهرة الفهم الخاطئ، ولن نمرّ بأزمة التّأويلات المتعدّدة للخطاب الواحد، غير أن بعض اللسانيين يرون بأن هذه الأحكام غير قادرة على تفسير كل شيء، لاسيما وأنّ الأطراف لا يتوفرون على نفس الحاجات التبليغيّة وفضلاً عن هذا فإنهم يستخدمون أشكالاً لغوية مختلفة أو قليلة التّجانس، فظهر الكثير من المعارضين لنظريّة التّعاون الحواري واستدلّوا في ذلك بعدّة حُجج ولعلّ أهمّها أنّه قد يحصُل الفهم دون حاجة لتطبيق جميع هذه المبادئ، فقد يُخالف طرفا الحوار بعضا من هذه القواعد مع بقاء مبدأ التّعاون، لتنتقل العبارة من ظاهرها الصّريح إلى ما يُسمّى في اللّسانيّات التّداوليّة "بالدّلالة

---

[6]– بول جرايس، تحليل الخطاب، تح: محمّد لطفي الزّليطي، دار النّشر والمطابع، الريّاض (السّعوديّة)، 1997، ص 40.

[7]– طه عبد الرّحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز العربي الثّقافي، الدّار البيضاء (المغرب)، ط2، 2000، ص 103.

[8]– بول جرايس، تحليل الخطاب، ص40.

[9]– نفسه، ص 41.

المُستلزمة"[10]، التي تُفهم من سيّاق الكلام دون الحاجة لمبادئ "جرايس"، ولعلّ أشهر هؤلاء المعارضين اللّغوي المغربي "حسّان الباهي"، الذي قام بتتبّع أعمال جرايس وتسجيل بعض الملاحظات التي اعتبرها نقاط ضعف لنظريّته، بدءا من كون هذا الأخير لم يأخذ بعين الاعتبار العديد من السّلوكات اليوميّة العاديّة التي تتوفّر على دلالة أكبر، وهو ذات الرأي الذي تبنّاه طه عبد الرّحمن الذي استنكر على مبدأ التّعاون إغفاله عن أهم الجوانب المعينة على فهم الخطاب ومنها الجانب المادّي والاجتماعي والتهذيبي، ولم يضبط سوى الجانب التّبليغي منه، وهو عبّر عنه بقوله « إنّ غرايس تجرّد من جوانب الخطاب وحصرها في التّبليغ دون غيرها[11]»، وبين دعاة التّعاون الحواري في النّص العربي ورافضيه نجد أنفسنا أمام وضعيّة تحتاج برهنة تطبيقيّة .

القسم التّطبيقي:

ثانيّا: ملامح الاستلزام الحواري في دورة الخطاب الرّوائي في رواية اللّازل الطّاهر وطّار:

أ- ملخّص الرّواية:

إنّ القراءة السّطحية لبنية رواية –اللاز- للطّاهر وطّار قد تُفضي إلى فهم أوليّ مفاده أنّ النّص يقدّم مجرد سرد لأحداث الثورة التحريرية الجزائريّة وصراعاتها الدّاخلية بين الفاعلين الثوريين، حيث يبدو في الظّاهر أنه خطاب تاريخي يوثّق مرحلة المقاومة المسلّحة ضد الاستعمار الفرنسي وما رافقها من اختلاف في الرّؤى حول القيادة والنضال، غير أنّ هذا التلقي الأولي يُخفي وراءه بنية خطابية أعمق تقوم على التوتر الإيديولوجي وإعادة تشكيل المعنى عبر آليات غير مباشرة في القول. فالحوار في الرواية، وإن كان محدودًا مقارنة بالسرد، يُوظَّف بوصفه فضاءً لتفجير الدلالة لا لتبليغها مباشرة، إذ كثيرًا ما يحمل القول الظاهر معاني مضمرَة تتطلب قراءة تداولية. من ذلك قول بعض الشخصيات في سياق النقاش الثوري: «الثورة ليست شعارات تُقال، بل مسؤولية تُمارس» فهذا القول في ظاهره تقرير مباشر إلا أنه يُضمر نقدًا ضمنيًا للخطاب الثوري الشّعاراتي ويُفعل آلية الاستلزام الحواري حيث لا يُفهم المعنى من التصريح فقط بل من السياق الإيديولوجي للصراع بين الفاعلين كما نجد في موضع آخر من الرّواية خطابًا يوحي بالتوتّر بين الفرد والتنظيم، حين يُقال: «من لا يطيع القرار يخرج من الصَّف» وهنا لا يقتصر المعنى على الجانب التنظيمي، بل يتضمن تهديدًا ضمنيًا وإعادة إنتاج لسلطة الخطاب الثَّوري، مما يكشف عن خرق محتمل لـ مبدأ التّعاون الحواري، حيث يتحول التواصل من تبادل معلومات إلى ممارسة سلطة وإخضاع. وتتجلى

[10] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة(مصر)، ط2، 2006، ص31. (بتصرّف : في قواعد الإستلزام)

[11]– طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 1998، ص283.

كذلك آليات الإضمار في بنية السرد نفسها، إذ كثيرًا ما تُترك دوافع الشخصيات وأحكامها غير مصرح بها مباشرة، ويُكتفى بإحالات سردية مكثفة توحي أكثر مما تُصرّح، كما في تصوير علاقة "اللاز" بالثورة، حيث يُقدَّم كذات متوترة بين الانتماء والتمرد دون حسم دلالي مباشر، مما يفتح المجال أمام المتلقي لاستنتاج المعنى من خلال السياق لا من خلال القول الصريح. ومن ثمّ، فإن رواية «اللاز» لا تُقرأ بوصفها نصًا تاريخيًا فقط، بل بوصفها خطابًا تداوليًا مركبًا يُنتج المعنى عبر التفاعل بين القول والمسكوت عنه، حيث تتحول اللغة إلى أداة صراع رمزي بين مختلف الخطابات الإيديولوجية داخل فضاء الثورة، وهو ما يسمح بالانتقال من قراءة وصفية سطحية إلى قراءة وظيفية تكشف آليات إنتاج الدلالة واستراتيجيات التأثير في المتلقي. الأمثل لفرض سيطرته عليها وكسر إرادتها، ما عكس السلطة الذّكورية المطلقة وتسليطها على المرأة العربيّة بشكل عام وعلى المرأة الكويتيّة خصوصا.

ولم يقتصر حضور الصّمت والرقابة والضبط الإيديولوجي في رواية «اللاّز» على لحظات المواجهة المباشرة بين الشّخصيات الثّورية فحسب، بل يتعدّاه إلى بنية أعمق تتحكم في مسارات التّفكير والتّعبير داخل الجماعة الثورية، حيث يُفرض على الأفراد نوع من الكبت الرّمزي باسم الانضباط الثوري وحماية "الصف"، وهنا تتجلّى سلطة الخطاب التنظيمي الذي يجعل من القول الحرّ فعلاً محفوفًا بالمساءلة ومن الصمت شكلًا من أشكال الامتثال غير المعلن.

وفي كثير من المقاطع الحواريّة لا يُصرّح بالصراع بشكل مباشر، بل يُبنى عبر تلميحات قصيرة ومكثّفة مثل قول أحد القادة: «الثورة لا تحتمل التردُّد» فهذا القول في ظاهره توجيهي مباشر لكنه يُضمر في عمقه إقصاءً لأي خطاب مخالف أو متردِّد، ويُفهم تداوليًا بوصفه آلية لضبط الفعل الكلامي داخل الجماعة، حيث يتحول الحوار إلى ممارسة سلطوية تُعيد إنتاج مبدأ الطاعة. كما يتجلى هذا التوتر في مقاطع أخرى من الخطاب الثوري حين يُقال: «الوقت ليس وقت الكلام، بل وقت الفعل» وهنا يتم إلغاء الوظيفة الحوارية للكلام ذاته، لصالح فعل أحادي الاتجاه مما يكشف عن خرق واضح لـ مبدأ التعاون الحواري، إذ لا يعود الحوار تبادلًا للمعلومات بل توجيهًا وإلزامًا، ويُفهم ضمنيًا أن أي اعتراض يُعد خروجًا عن الشرعية الثورية.

وتتواصل هذه الدّينامية عبر ما يمكن تسميته بـ الحوار غير المباشر بين الشخصيات حيث لا يتم تبادل الآراء بشكل صريح، بل عبر الصمت والتلميح وتوتّر المواقف، فصمت "اللاّز" في بعض اللحظات ليس غيابًا للقول بل فعلًا تداوليًا يحمل دلالة اعتراض أو انسحاب ضمني من خطاب السلطة الّثورية، وهو ما يمكن اعتباره شكلًا من أشكال الاستلزام الحواري السلبي، ومن ثمّة يمكن القول إن دورة الحوار في الرّواية لا تُبنى فقط على تبادل الأقوال بل على شبكة معقدة من الصمت والرقابة والإيحاء، حيث تتحول اللغة إلى فضاء للصراع الإيديولوجي، ويصبح المعنى نتاجًا للتوتر بين ما يُقال وما يُراد قوله دون تصريح، وهو ما يسمح بقراءة الرواية تداوليًا باعتبارها خطابًا إنتاجيًا للسلطة بقدر ما هي خطاب للثورة.

وهنا بدأت دورة الحوار اللاّ مباشر بشكل واضح بينه وبين شخصيّات الرّواية فيما يُترجم تداوليّا بمصطلح الاستلزام الحواري، الذي سنسعى إلى التّنقيب عنه وتوضيحه من خلال الجدول الآتي: إذ ستقوم دورة الحوار أثناء دورة العلاج بين شخصيّات الرّواية:

الجملة الظاهرة	المعنى الظّاهر	المعنى المتضمّن في القول:	شكل التعاون الحواري:
"الثورة لا تحتمل التردد"	دعوة إلى الحسم والالتزام بالقرار الثوري.	إقصاء ضمني لأي رأي مخالف واعتبار التردد خيانة للخط الثوري.	**توجيه مباشر+ خرق مبدأ التعاون (إلزام بدل الحوار)**
"من ليس معنا فهو ضدنا"	تقسيم واضح بين المنتمين وغير المنتمين	نفي الحياد وإنتاج خطاب إقصائي يعيد تشكيل الانتماء داخل الجماعة.	**استلزام حواري إقصائي + تقليص حرية التداول**
صمت "اللاز" في مواقف القرار.	عدم التعليق أو المشاركة	رفض ضمني أو اعتراض غير معلن على الخطاب الثوري المهيمن	**خرق مبدأ الملائمة: هنا قلب البطل المعنى المتوقّع، فخرق مبدأ الملائمة عند بول غرايس، ليبيّن الحقيقة في صمته.**
الوقت ليس وقت الكلام"	دعوة إلى التركيز على الفعل	إلغاء قيمة الحوار وإضعاف التداول داخل الجماعة	**إختراق مبدأ الكم: اقتصد الكلمات وتحدّث بكل ايجاز.**

"القرار نهائي ولا نقاش فيه"	تثبيت القرار التنظيمي	تحويل الحوار إلى سلطة أحادية تمنع الاستفهام أو الاعتراض.	**إختراق مبدأ النّوع/الطّريقة/الجهة: ذلك أنّ السيّدة ناديا قامت بتقديم إجابتها بإطناب والمبدأ ينصُّ على الإجابة بإيجاز، فهي لم تكتفِ بتقديم إجابة غيرواضحة بل كانت جد طويلة.**
الزّمن يزحف وأنا رهين لأعتام الأيام والليّالي متشبّثة بالصّبر والصّمت.	مقاومته لأقدار الزمن بالصّبر والقوّة.	أنّه سجينة الحياة وتعرّض لكل أنواع الظلم والكبت والاستعباد من جميع من يحيط به.	**إختراق قاعدة الوضوح: لأنّ طريقة انتقاء الكلمات مجازية لأجل زيادة وقع الكلمات وبالتّالي تأثيرها.**
وأنا هل سأبقى العُشبة السّوداء المنسيّة ... أيُّ يد قادرة على أن تجتثّني من هذه الأرض؟	المناضل يقوم بتشبيه نفسه بعشبة ذابلة وينتظر من ينقذه من ذبوله بسبب الظّلم والتعسّف.	يشعر بأنه مُستنزف وغير قادر على الاستمرار، ويبحث عن من يستطيع مساعدته على تجاوز أزمته وضعفه الآني.	**إنتهاك مبدأ المُناسبة: لأنّ ناديا طرحت سؤالا لا علاقة له بسؤال أمّها.**
لم أيأس ولم أفقد الأمل حتى جاء ذلك الصباح الشّتائي الغائم، فكّ الشتاء عقدة لسانه واعترف.[12]	يصف لحظة الاعتراف للجندي.	يصوّر الكاتب التحرّر من الصّمت والكبت والانطلاق نحو الاعتراف والافصاح عن المعاناة النفسيّة.	**إختراق مبدأ الكيف: ذلك أن إجابته تميّزت بالغموض والمبالغة.**

ونستنتج من خلال الجدول أعلاه أنّ دورة الحوار بين الشّخصيّات كانت تستدعي إمّا ربط الجملة الظاهرة بسياقها الذي وردت فيه، أو توفّر جُملة من الافتراضات المسبقة بين المنتج ومتلقّي الخِطاب، وتتجسّد في صورة معلومات ومعطيّات أوّليّة متّفق عليها بين طرفي الحوار، وهي من أهم الآليّات التي لا يمكن الاستغناء عنها في التّخاطب، خاصّة إن كان النّص الحرفي لا يُطابق المعنى الحرفي له، إذ لا يبلُغ

[12] الطاهر وطار، رواية اللاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، ط1 ، 1974. ص 77.

المتلقّي مُراده من الفهم إلا بتوفّر جُملة من المعاني المتفّق عليها أو المتعارف عليها، وهو ما نجده شائعا في أشعار الرّمز، والأشعار السّياسيّة، والكنايات بمختلف أنواعها التي لا يُمكن فهم مكنونها دون تحقّق أبسط شكل من أشكال الافتراض المسبق، وهو ما عبّر عنه باتريك شارودو بقوله « إنّ المتكلّمين يفترضون أنّ مستمعيهم عارفون ببعض المعلومات التي تُيسّر لهم الوصول إلى مقاصد مخاطبيهم، إلاّ أنّ هذه المعلومات لا تُذكر كونها تُعامل على أساس أنّها معروفة ضمنيّا فهي جزء ممّ يتم إيصاله دون قوله[13] »

وبناءَ على ذلك فإنّ تبادل الخطابات المبتورة تُعيق الفهم، وتعرقل عمليّة التّواصل الجيّد، وعليه ينبغي التقيّد بمعايير التّعاون الحواري وعدم الإخلال بقواعدها قصد ضمان تواصل مثالي وناجح .

الخاتمة:

بعد التّمحّص العميق لدورة الحوار في هذه الرّواية توصّلنا إلى نتيجة مفادها إنّ النّص العربي شأنه شأن جميع النّصوص الغربيّة، ذلك أنّه قابل لإسقاط الآليّات التّداولية عليه، وبالتّالي دراسته بربطه بما يُحيط به من ظروف خارجيّة وسياق حال، كما أنّ التّأويل الصّحيح لأي خطاب ليس اعتباطيّا بل هو مرهون بتقيّد أطراف الحوار ببعض المبادئ التّعاونية التي تطرّقنا إليها أعلاه، ليتحقّق الفهم، وقد توصّلنا إلى بعض النتائج التي يمكن أن نُجملها في ما يلي:

1- المنهج التّداولي منهج عام وشامل، فهو لا يُميّز بين اللّغات بل يسعى لدراسة اللّغة كظاهرة عامّة بعيدا عن المعياريّة.

2- أنّ التّداولية منهج حديث أخرج الدّرس اللّغوي من قواعده الجّافة نحو الدّيناميكيّة المتماشيّة مع روح العصر الريّاضية.

[13]- باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، ط2، 2008، ص 17.

3- المنهج التّداولي لم يتجاهل المناهج السّابقة له في دراسة اللّغة مثلما هو شائع، بل انطلق منها وأخذ ما يُناسب مبادئه، وتجاوز نظريّة التّعامل مع اللّغة لذاتها ولأجل ذاتها، محرّرا إياها من قيود المعياريّة نحو الاستعماليّة.

4- أهم ركيزة للتداوليّة الحديثة هو الرّبط المُطلق بين اللّغة وما يُحيط بها من مكوّنات خارجيّة، مع الأخذ بعين الاعتبار بالسيّاق الي وردت فيه.

5- أنّ الحوار النّاجح قائم على الفهم المباشر والضّمني للنّص، ذلك أنّ بعض النّصوص تأتي مبتورة كمّا أو كيفا.

6- الاستلزام الحواري ليس إلا ظاهرة لغويّة ناتجة عن خرق أحد مبادئ التّعاون التّخاطبي، وتوفّره في النّص دليل على أحد الأمرين: إما أنّ المخاطِب لم يلتزم بالمعايير التّعاونيّة، أو أنّ المُخاطَب لا يملك أدنى افتراض مسبق لمقصديّة المتكلم، وبين هذا وذاك ينتج حوارا عقيما .

وفي الأخير يتوضّح لنا أنّ الدّرس التّداولي موجّه لدراسة الظاهرة اللّغويّة داخليّا وخارجيّا، بهدف بلوغ الفهم دون التّمييز بين اللّغات، متجاوزا بذلك الفكر التّقليدي الهادف للمفاضلة بين اللّغات ودراستها كبنيّة داخليّة مُغلقة.

قائمة المصادروالمراجع:

16 – محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة(مصر)، ط2، 2006.

17- باتريك شارودو ودومينيك منغنو، **معجم تحليل الخطاب**، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، ط2، 2008.

1- أحمد المتوكّل، **الاستلزام التّخاطبي بين البلاغة العربيّة والتّداوليّات الحديثة**، عالم الكتب الحديث، إربد(الأردن)،ط1، 2011,

2- أنطوان خوري، **مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية**، دار الفكر، بيروت(لبنان)، ط 1، 1984.

3- بول جرايس، **تحليل الخطاب**، تح: محمّد لطفي الزّليطي، دار النّشر والمطابع، الريّاض (السّعوديّة)، 1997.

4- صلاح اسماعيل، **نظريّة المعنى في فلسفة بول جرايس**، الدار المصريّة للطّباعة، القاهرة (مصر)، ط1، 2005.

5- طه عبد الرّحمن، **أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز العربي الثّقافي، الدّار البيضاء (المغرب)، ط2، 2000,

6- طه عبد الرّحمن، **اللّسان والميزان والتكوثر العقلي**، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 1998، ص283.

7- طه عبدالرحمن، **اللسانيات والمنطق والفلسفة دراسة سيميائية أدبية لسانية**، دار الفكر، بيروت (لبنان)، ط1، 1988.

8- فرديريك وريمان، **كيف يرى الوضعيون الفلسفة**، تر: نجيب الحصّادي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1994 .

9- الطاهر وطار، رواية اللاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1 الأولى، 1974.